

الحوار مع الإرهابيين

سكوت آتران ، روبرت أكسيلرود

صحيفة نيويورك تايمز

30 يونيو 2010

Why We Talk to Terrorists

By Scott Atran & Robert Axelrod

The New York Times Newspaper

ترجمة: علي الحارس (alharis.a@gmail.com)

• باحث في مركز دراسات المحفزات الجماعية.

• أستاذ مشارك في قسم الفلسفة، جامعة ميشيغان.

• أستاذ زائر في كلية فورد للسياسة العمومية.

• أستاذ علم الاجتماع في كلية جون جاي للقانون الجنائي.

• باحث في المركز الفرنسي الوطني للبحوث العلمية.

• قدم استشارات للكونغرس ومجلس الأمن الوطني.

• دكتوراه في الأنثروبولوجيا، جامعة كولومبيا.



سكوت آتران

• أستاذ العلوم السياسية والسياسة العامة في جامعة ميشيغان.

• يعرف بأبحاثه الرائدة في مجال (تطور التعاون).

• حائز على عدد من الجوائز الأكاديمية المرموقة.

• قدم استشارات للبنك الدولي، ومنظمة الأمم المتحدة، ووزارة الدفاع.

• دكتوراه في العلوم السياسية، جامعة يال.

• إجازة في الرياضيات، جامعة شيكاغو.

روبرت أكسيلرود

ليست كل الجماعات التي تصنفها حكومة الولايات المتحدة كمنظمات إرهابية على الدرجة نفسها من السوء أو الخطورة، وليس كل ما يصلهم من المعلومات المبنية على الخبرة السياسية أو الأكاديمية أو العلمية أمرا يمس بأمننا الوطني؛ ولكن هذه الحقائق تبدو غائبة، مع الأسف، عن بال المحكمة العليا التي أيدت قانونا يمنع توفير «الدعم المادي» للجماعات الإرهابية في الخارج.

الحوار مع الإرهابيين

إن العديد من الجماعات التي كانت تعتبر في السابق، وعلى نحو واسع، من المنظمات الإرهابية، بما فيها الواردة على القائمة الرسمية لوزارة الخارجية الأمريكية، أصبحت اليوم من شركائنا في السعي إلى السلام وتعزيز الديمقراطية؛ ومنها حزب المؤتمر الوطني الأفريقي الذي أصبح اليوم الحزب الحاكم في جنوب أفريقيا، وفيه كوادر وقيادات منتخبة تعزز بزعيمها السابق نيلسون مانديلا الذي يعد من أعظم رموز السلام. وكذلك الجيش الجمهوري الإيرلندي الذي ينشر اليوم رسالة اللاعنفا، وعلى رأسه زعيمه القديم مارتين ماغينيس الذي أصبح أول رئيس وزراء لآيرلندا الشمالية. أضف إليهما الرئيس الفلسطيني محمود عباس ومنظمة التحرير الفلسطينية اللذين أصبحا لاعبين أساسيين في مفاوضات السلام في الشرق الأوسط.

في كل حالة من الحالات الثلاث السابقة نجد كذلك مواطنين أمريكيين عملوا بشكل منفرد (رجال دين وأكاديميون وعلماء...)، ومن وراء الستار لإنهاء العنف.

إن كاتبتي المقالة هذه هما من المختصين بعلم الاجتماع، وقاما بدراسة جماعات إرهابية والتواصل معها في سبيل إيجاد سبل لحل الصراعات المستعصية؛ وخلال هذا المسعى وأثناء نقاشاتنا مع صناع القرار في الشرق الأوسط وغيره، لاحظنا بأعيننا كيف أدت اللقاءات غير الرسمية وتبادل المعلومات إلى نتائج مفيدة؛ ولم يكن ذلك بفضل أثر تلقائي لما حمله أولئك الأمريكيون من الألقاب الدينية أو الأكاديمية أو العلمية، بل بفضل التزامهم الشخصي بالسلام، والذي أعطاهم مصداقية تتجاوز مجرد إبداء رأي أو رغبة.

من هنا نجد أن قرار المحكمة العليا مخيب للآمال عندما حكمت بأن أي «دعم مادي» لجماعة إرهابية خارجية، بما في ذلك الحوار مع الإرهابيين أو إعطاؤهم الخبرة والمعلومات العلمية، يساعد على منح «الشرعية» لهذه المنظمة الإرهابية أو تلك. لا شك أن المحكمة محقة في رأيها بعض الحالات، ولكن النظام القانوني الأمريكي ينبغي عليه أن يجد سبيلا

الحوار مع الإرهابيين

للتمييز الجلي بين الدعم المادي غير القانوني والتصرفات القانونية التي تتضمن الحوار الخاص مع الإرهابيين على أمل تخفيف حدة الإرهاب العالمي وتعزيز الأمن الوطني.

هنالك جماعات، كالقاعدة، تجب محاربتها حتى النهاية؛ وقرار المحكمة العليا معقول في تخمينه بأن أي عون يقدم إلى مثل هؤلاء الأعداء، حتى وإن كان بطريقة غير مؤذية كتنبههم إلى كيفية تحسين سمعتهم في مجال حقوق الإنسان، من شأنه أن يشتت الوقت والجهود المخصصة لتحري مواقع وجود التطرف العنيف.

وعلى الرغم من أن الحرب والعنف الجماعي مستمر أبدا وللحيلولة دونهما يجب على أمريكا أن تبقى مستمرة في جهودها وابتكار أساليب جديدة، فإن هذا يعني في بعض الأحيان أن تبادر إلى سماع وجهة نظر الأعداء والحوار معهم وتبسيط الضوء على الخلافات المبهمة من أجل التمييز بين من هو عدو (حتى النخاع)، ومن قد يصبح صديقا في يوم من الأيام.

من المهم الإدراك بأنه في الصراع السياسي يأمل السياسيون دائما بأن يتمكنوا من محاورة الطرف الآخر دون علم مؤيديهم، ومن هنا فإن فكرة (وجوب أن تكون كافة المفاوضات مفتوحة بالكامل) ليست فكرة عملية ببساطة، وعندما لا يكون هنالك وسطاء «رسميون» مناسبون، يمكن للأشخاص العاديين أن يملؤوا الفراغ. عندها ينبغي أن تكون الشروط صارمة بالطبع: بأن تضمن دقة المعلومات المتناقلة بين كافة الأطراف، وأن تبقى المحادثات طي الكتمان بحسب الحاجة. إن الدقة هنا تتطلب المهارة في الاستماع والاستكشاف، وشيئا من التفهم الثقافي، وبعدها فكريا توفره البيانات العلمية والبحثية.

في عملنا الخاص مع الجماعات المصنفة كمنظمات إرهابية، لاحظنا اختلافات مهمة بين مواقفها وأفعالها، فعلى سبيل المثال، قمنا مؤخرا بالتحاور مع رمضان عبدالله شلح زعيم (منظمة الجهاد الإسلامي) الفلسطينية المقاتلة (علما بأننا قدمنا تقريرا فوريا بذلك إلى وزارة الخارجية لأن شلح في مقدمة المطلوبين على قائمة مكتب التحقيقات

الحوار مع الإرهابيين

الفيدرالي). وحينها واجهنا شلح برفض قاطع لأي اعتراف بإسرائيل أو التوجه إلى حل الدولتين. أما عندما التقينا بخالد مشعل زعيم حركة حماس. وهي حركة إرهابية بحسب تصنيف وزارة الخارجية. قال لنا بأن حركته يمكنها أن تتصور «سلاما» في إطار حل الدولتين.

عبر لقائنا بجماعة السيد مشعل تمكنا من التأكد من أمر أخبرتنا به الاستخبارات السعودية والإسرائيلية من قبل: لقد قامت حماس بقتال القاعدة كي تبقىها بعيدة عن مناطق نفوذها. ولم تبد أية نية بخوض جهاد عالمي. وسواء أكان الاختلاف بين القاعدة والجهاد الإسلامي وحماس أساسيا أم مؤقتا أو تكتيكيا. فإنه لا يتضح إلا بعد إجراء عملية استكشاف. أما الافتراض بأن من الخطأ التام التواصل مع هذه الجماعات فهو الخطأ بعينه. وله آثار خطيرة.

أثناء عملنا الميداني مع قادة الإرهابيين ومقاتليهم وأتباعهم في أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا وجدنا اختلافا هائلا في الطموحات السياسية والغايات المنشودة والالتزام بالعنف: وبحسب ما جاء في شهادة أحدنا (سكوت آتران) أمام لجنة التهديدات الداهمة التابعة للكونغرس. فإن هذه الاختلافات يمكن استخدامها في صالحنا لكسب تعاون الجيل القادم من المقاتلين. وإلا فإنه سيصبح من أعدائنا بلا شك.

رغم أنها حقيقة غير مريحة. فإن الحوار المباشر مع الجماعات الإرهابية يصبح أحيانا أمرا لا بد منه: وحتى إذا انتهت المفاوضات مع جماعة ما دون نتيجة. فإن ما نقوله وما نسمعه قد يساعدنا في التوصل إلى فهم أفضل لدواعي رغبة هذه الجماعة بقتالنا مما يجعلنا أفضل في قتالها. إن الكونغرس مطالب بتوضيح قوانين مكافحة الإرهاب عبر تفهّمه أن الوقوف في وجه محاولات التواصل (المبلّغ عنها) مع الجماعات الإرهابية من شأنه توجيه الأذى لكل من الأمن الوطني وإمكانات السلام في صراعات العالم التي تستعصي على الحل.